كَـأَنَّـهُ زَادَ حَـتَّـى فَـاضَ مِـنْ جَـسَـدِي
فَـصَـارَ سُـقْـمِـي بِـهِ فِـي جِـسْـمِ كِـتْـمَـانِـي[١]

سيف يسابق المنايا

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك:

[المتقارب]

قُـضَـاعَـةُ تَـعْـلَـمُ أَنِّـي الْـفَـتَـى الَّـذِ
ي ادَّخَـرَتْ لِـصُـرُوفِ الـزَّمَـانِ[٢]
وَمَـجْـدِي يَـدُلُّ بَـنِـي خِـنْـدِفٍ
عَـلَـى أَنَّ كُـلَّ كَـرِيـمٍ يَـمَـانِ[٣]
أَنَـا ابْـنُ الـلِّـقَـاءِ أَنَـا ابْـنُ الـسَّـخَـاءِ
أَنَـا ابْـنُ الـضِّـرَابِ أَنَـا ابْـنُ الـطِّـعَـانِ[٤]
أَنَـا ابْـنُ الْـفَـيَـافِـي أَنَـا ٱبْـنُ الْـقَـوَافِـي
أَنَـا ابْـنُ الـسُّـرُوجِ أَنَـا ٱبْـنُ الـرِّعَـانِ[٥]

= لها تكرمة لخاطرها وللحبّ، ولكن دلائل الحبّ في عينيه كشفت مكنون قلبه، فبات الإسرار والإعلان سواء.

(١) لم يستطع الشاعر إخفاء حقيقة مشاعره، ممّا أدّى إلى مرضه بعدما فاض بما يُضمر من حبّ تماماً كما يفيض الوعاء بما فيه.

(٢) قضاعة: من قبائل اليمن من حمير. الفتى: من اكتملت لديه القوّة والشجاعة والكرم والحميّة. صروف الدهر: المصائب. ترى قبيلة قضاعة في ابنها أنه الفتى المدّخر لوقت الشدائد ونزول الكوارث في ساحتها، فهو شجاع كريم يتصدّى لعظام الأمور والمهام.

(٣) خندف: إحدى قبائل مضر. لقد تناقلت الألسن سيرة ذلك الفتى حتى تسامعت به خندف، وشهدت بأن الكرام من بلاد اليمن.

(٤) و (٥) يعدّد الشاعر مزايا ذلك الفتى، فهو شجاع يلتقي الفرسان في ساحات القتال، وكريم، رضع لبان تلك المزايا، فكان لها ابناً باراً يقوم بما يتوجّب عليه من مطالب البنوّة؛ فهو يخترق المفازات بقلب قدّ من صوّان، لا يخاف ولا يرهب الوحوش الضارية. ينطق لسانه بالشعر، ويمتطي ظهور الخيل، ويتسلّق وعر الجبال، فيُشرف على الكون.

طَـوِيـلُ الْـنِّـجَـادِ طَـوِيـلُ الْـعِـمَـادِ
طَـوِيـلُ الْـقَـنَـاةِ طَـوِيـلُ الـسِّـنَـانِ(١)
حـدِيـدُ الـلِّـحَـاظِ حَـدِيـدُ الْـحِـفَـاظِ
حَـدِيـدُ الْـحُـسَـامِ حَـدِيـدُ الْـجَـنَـانِ(٢)
يُـسَـابِـقُ سَـيْـفِـي مَـنَـايَـا الْـعِـبَـادِ
إِلَـيْـهِـمْ كَـأَنَّـهُـمَـا فِـي رِهَـانِ(٣)
يَـرَى حَـدُّهُ غَـامِـضَـاتِ الْـقُـلُـوبِ
إِذَا كُـنْـتُ فِـي هَـبْـوَةٍ لَا أَرَانِـي(٤)
سَـأَجْـعَـلُـهُ حَـكَـمـاً فِـي الـنُّـفُـوسِ
وَلَـوْ نَـابَ عَـنْـهُ لِـسَـانِـي كَـفَـانِـي(٥)

أغار من الزجاجة!

دخل على عليّ بن إبراهيم التنوخي، فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود فقال ارتجالاً:

[الوافر]

إِذَا مَـا الْـكَـأْسُ أَرْعَـشَـتِ الْـيَـدَيْـنِ
صَـحَـوْتُ فَـلَـمْ تَـحُـلْ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنِـي(٦)

---

(١) النجاد: حمالة السيف. طويل النجاد كناية عن طول حامل نجاد السيف. يفخر التنوخيّ بطوله، فهو طويل النجاد، طويل القامة، يتسلّح برمح طويل وباتّساع وارتفاع خيمته؛ فزائروه كثيرون يقصدونه لكرمه.

(٢) و (٣) إنه حادّ النظر ممّا يسمح له معرفة نقاط الضعف لدى خصومه في الحرب فيُصيب مقاتلهم، وهو قادر على حماية ما في يديه من متاع ومال، ولديه حسام بتّار يقطع الأعمار، ثابت لا يرهب أعداءه في الحروب، وسيفه سريع يسبق الموت إذا وجّهه إليه.

(٤) و (٥) هبوة: غبار: إنه يكشف الأسرار، فهو يطّلع على خبايا النفوس ويُدرك مقاتل الأعداء في المعركة، والغبار يتصاعد في كبد السماء، حيث لا يرى المقاتل نفسه في جوّ محموم بالكراهية والعداء، فسيفه يحكم، وله كلمة الفصل فضلاً عن دور شعره الذي ينفذ إلى أعماق القلوب، وقد يكتفي بالكلمة إذا أمكن ذلك دون سيفه.

(٦) رعشت: ارتجفت. يفخر الشاعر أنه يشرب الخمرة، فيكتفي منها مخافة ضياعه عن =